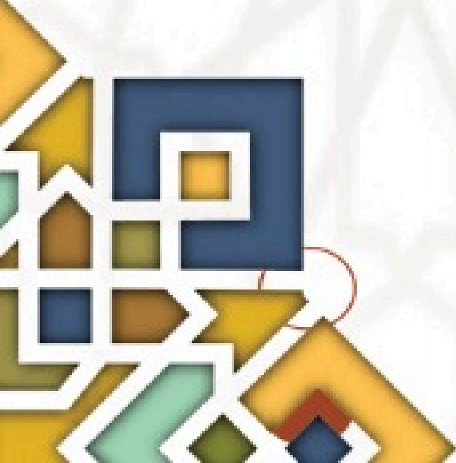
تأملات في سورة العصر

محاضرة مفرغة

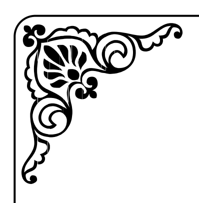
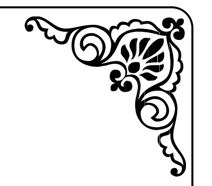
لفضيلة الشيخ

أبي مصعب مجدي بن ميلود حفالة

حفظه الله تعالى



دار سبيل المؤمنين
للنشر والتوزيع

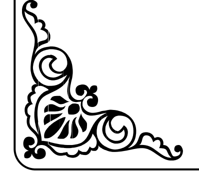



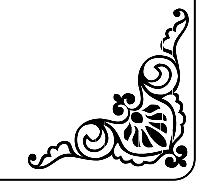
«تَأَمُّلَاتٌ فِي سُورَةِ العَصْرِ»

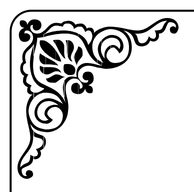
مُحَاضَرَةٌ مُفرَّغةٌ لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ

أَبِي مُصْعَب مَجْدِي بنِ مِيلُود حَفّالَة

- حفظه الله تعالى -









١٤٤٥ هـ / ٢٠٢٤ م



81 ش الهدي المحمدي – متفرع من شارع أحمد عرابي – مساكن عين شمس

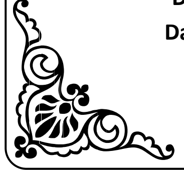
القاهرة - جمهورية مصر العربية

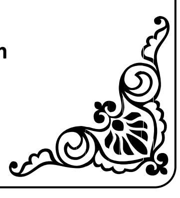
جوال: 00201007610099 - 00201140110099

البريد الإلكتروني:

Dar_sabilelmomnen@yahoo.com

Dar_sabilelmomnen@hotmail.com





الحمد لله والصلاة والسلام علىٰ رسول الله وعلىٰ آله وصحبه ومن والاه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وبعد:

فإنّنا نحمَدُ الله – جَلَّجَلَالُهُ – أن يسّر هذا اللقاءَ بإخوانِنَا في مدينةِ بَنِي وَليد – حرسها اللهُ وسائرَ مُدنِ بلادِنا –

ثم بعد هذا معاشرَ الأحبّة: اللهُ – جَلَّجَلَالُهُ – أنزلَ كتابَه القرآنَ الكريمَ؛ لِكَيْ يتدبّرَه أهلُ الإيمانِ، ولِكَيْ يسعدوا، ولِكَيْ يمتَثِلوا أوامِرَه ويجتَنبوا نواهِيه، قال الله – جَلَّجَلَالُهُ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾(١)، وقال – تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾(٢)، وقال – تعالىٰ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا﴾(٣)،

---

(١) سورة ص: ٢٩.

(٢) سورة محمد: ٢٤.

(٣) سورة الإسراء: ٨٢.

وقال - سبحانه: ﴿قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۚ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾[1]، والنبيُّ - ﷺ - حثَّ أُمَّتَه على العنايةِ بالقُرآنِ، يقول - ﷺ: «**اقْرَءُوا الْقُرْآنَ ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ**»[2].

ويقول النبي - ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ**»[3]، ويقول النبي - ﷺ: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**»[4]، ويقول النبيﷺ: «**الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ**»[5]، ويقول النبي - ﷺ: «**إِنَّ للهِ**

---

(١) سورة فصلت: ٤٤.

(٢) رواه مسلم (ح ٨٠٤).

(٣) رواه مسلم (ح ٨١٧).

(٤) رواه البخاري (ح ٥٠٢٧).

(٥) رواه مسلم (ح ٧٩٨).

تعالىٰ أهلِينَ من الناس: أهلُ القرآنِ، هم أهلُ اللهِ وخاصّتُه»[١]؛ فالعنايةُ بكتابِ الله قراءةً وتدبُّرًا، ينبغي علىٰ كلّ مسلمٍ أنْ يُعطِيَ هذا الأمرَ العظيمَ وقتًا وجُهدًا.

وإن سوَرَ القرآنِ المُتعدّدَة فيها من الهِدايةِ وفيها من الرّشادِ ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾[٢]؛ فَهِدَايَتُكُم معاشرَ الأحبّةِ في كلام ربّنا - جَلَّ جَلَالُهُ - وكلامِ نبيّنا ﷺ ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٣]، لذلك هذه السّوَر من كلامِ الله - جَلَّ جَلَالُهُ - لها فضائلُ جمّة مُتعدّدة.

مِن تِلكُمُ السّور التي قال العلماءُ[٤]: إنها من أعظمِ سوَرِ القرآنِ في معانِيها ودلائِلها: «سورةُ العَصرِ»، تِلكُمُ السّورةُ التي علىٰ وجازَةِ جُمَلِها تُعتبر سورةً عظيمةً لِمن

(١) صحيح الجامع (ح ٢١٦٥).

(٢) سورة الإسراء: ٩ .

(٣) سورة الشورىٰ: ٥٢.

(٤) انظر: التبيان في أيمان القرآن (ص ١٣٣) .

امتَثَل هذه السورةَ وعلِمَ أحكامَها وأدركَ فوائدَها.

لذلك يقول الشافعيُّ - رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لو ما أنزل اللهُ من القرآن إلا سورة العصرِ لكانَ كافيا، ولو أنّ أهلَ الإسلام عمِلوا بهذه السورةِ لكفتهم»[1].

هذا يدُلّكَ علىٰ أنّ هذه السورةَ جمعت الأمرَ كُلَّه، يقولُ اللهُ - جَلَّجَلَالُهُ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾.

﴿وَٱلْعَصْرِ﴾ الواو: حرفُ قسم، و(العصر): مُقسَمٌ به، واللهُ - جَلَّجَلَالُهُ - يُقسِم بما شاءَ من مخلوقَاتِه، يُقسِم اللهُ - جَلَّجَلَالُهُ: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾[2]، ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾[3]، ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾[4]، في آياتٍ مُتعدّدَةٍ يُقسِم اللهُ بمخلوقاتِه

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (ج٨ ص٤٧٩). (٢) سورة الليل: ١.
(٣) سورة الشمس: ١. (٤) سورة النجم: ١.

العظيمةِ التي خلقَها وأوجدَها، فلَه - جَلَّجَلَالُهُ - أن يُقسِمَ بما شاءَ من مخلوقاتِه.

لكن ليس لكَ - أيها المُسلم، أيّتها المسلمة - أن تُقسِمَ إلا بالله - جَلَّجَلَالُهُ - ؛ إذ لو أقسمَ العبدُ بغير الله لكان شِركًا، يقول النبيُّ - ﷺ: «**أَلَا إِنَّ اللهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ فَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ، وَإِلَّا فَلْيَصْمُتْ**»(١)، والنبيُّ - ﷺ - يقول: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ**»(٢).

فأنت - أيها المسلم - ينبغي في حَلِفكَ أن تحلِفَ بالله، وأنْ تُقسِم إذا احتجتَ إلىٰ القسمِ بالله - جَلَّجَلَالُهُ - تعظيمًا له(٣)، أمّا إذا حلفتَ بغيرِ الله من المخلوقين؛

---

(١) رواه البخاري (ح ٦١٠٨)، ومسلم (ح ١٦٤٦) .

(٢) رواه أبو داود في سننه (ح ٣٢٥١).

(٣) وهذه لفتة مهمة ينبغي الوقوف عندها، قال اللهُ - سبحانه: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ ﴾، قال العلامةُ ابنُ عثيمين: (احفظوا أيمانكم لها ثلاثة معان:... =

فإنك تُعتبر أسأتَ ووقعتَ في شركٍ لفظيٍّ خطير، لَرُبّما يؤدّي بك إلىٰ الهاوية؛ لذلك العلماءُ يقولون: إذا أقسمَ العبدُ بغيرِ الله كأنْ يقولَ: وشرفي، وحياتي، ورأس كذا، ويُقسِم بالنّبي، كلُّ هذا يُعتَبرُ شركا من الشّركِ اللفظيّ، فإذا كان مُعظِّما للمُقسَم به كتعظيمِ الله أو أشدّ من تعظيم الله، فإنّه يُعتبر كافرا[1].

لذلك ينبغي أن تكون علىٰ حذر من القسم بغير الله، وإذا حلفتَ فإنك تحلف بالله - جَلَّجَلَالُهُ - ولا تحلف بغيره؛ فإنه شركٌ وخطرٌ عظيم.

اللهُ - جَلَّجَلَالُهُ - في سورةِ العصرِ يقول: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ﴾ وَالعصرُ: هو مُدةٌ زمَنيّةٌ من الوقت، دلّ ذلك علىٰ أن

=

المعنىٰ الثاني: أي: لا تكثروا الحلف، فلا تجعلوها رخيصة؛ كل شيء تحلفوا عليه، فلا تحلفوا علىٰ شيء إلا إذا دعت الحاجة أو الضرورة لذلك). تفسير سورة المائدة - لابن عثيمين (ج٢ ص٣١٢).

(١) انظر: القول المفيد - لابن عثيمين (ص ٥٠٥).

العصرَ الذي هو فترةٌ من الزمان: أقسم ربُّنا به؛ لشرَفِ الوقت، ولشرفِ ومنزلةِ الزّمان؛ إذ الوقتُ هو الحياةُ، والزّمانُ هو الحياة.

لذلك أقسم ربُّنا بالعصر الذي هو فترةٌ من فترات الوقتِ لشرفِ الزّمان والوقت، النبي - ﷺ - يقول: **«لنْ تزولَ قدما عبدٍ يومَ القيامةِ حتىٰ يُسألَ عن أربعٍ؛ عن عمُرِه فيم أفناه؟**

وعن شبابِه فيما أبلاه؟ وعن مالِه من أين اكتَسبه، وفيم أنفقه؟ وعن عِلْمه ماذا عمِل فيه؟»[(١)].

شاهِدُنا: «**عمُرُه فيمَ أفنَاه**» هذا العمُرُ الواسِعُ، الأيّامُ، الليالي، الدقائقُ، الساعاتُ، ستُسْأَل بينَ يدي اللهِ عن كلّ ثانيةٍ فيم أمضيتَها؟ فيم قضيْتَها؟

لذلك - معاشرَ الأحبّة - الوقتُ هو الحياة، وكان

---

(١) صحيح الترغيب (ح ١٧٢٦).

سلَفُنا - رحمهم الله - يُعظّمونَ أمرَ الوقتِ، ولا يهدرونَ الأوقات سبهللا، لا يُضيّعون الأزمانَ؛ لأنها أوقاتُ العملِ الصّالح، ولأنّ العبدَ لا يدري متىٰ يُباغِتُه الأجَلُ، فكانوا يغتنمون كلَّ لحظَةٍ، كلَّ ثانية.

النبيُّ - ﷺ - يقول: «**نِعمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ**»(١)، يُعطيك ربُّك وقتًا، يعطيك زمنًا، يعطيكَ فراغًا، ومع هذا تُضيّعُه وراءَ الملذّاتِ، وراءَ الشّهوات، وراءَ المعَاصي والآثَام، أنتَ علىٰ خسارة عظيمةٍ؛ فلأَنْ يخسَر العبدُ مالَه، وليَخسر من هذا الحُطامِ ما قد خسر، لكنّه لا يُساوِي خسارةَ العُمُر، المالُ تعوّضُه، وهكذا كلُّ ما قد ذهبَ يعود إليكَ، لكنّ الزمانَ إذا ذهبَ فإنّه لا يعود.

لذلك يا مسلم: أقسَمَ ربُّنا بالوقتِ وهو العَصر؛

---

(١) رواه البخاري (ح ٦٤١٢).

لشرفِ هذا الزّمان.

دَقّاتُ قَلبِ المَرءِ قائِلَةٌ لَهُ إِنَّ الحَياةَ دَقائِقٌ وَثَواني

لذلك ينبغي - معاشرَ الأحبّة - أن نغتَنِم الأوقات، فالسّلفُ يقولون: لو كانت أوقات الناس تُشترىٰ لاشتريناها بالذهب. لأن الوقتَ هو الحياة، وإذا ذهب وقتك فإنه لا يعود، انظر الفرقَ بين من يجلسُ في مقهىٰ أو علىٰ مشاهدةِ تِلفاز، وبين من يقرأُ كتابَ الله، كم بين هذا وذا؟ يجلسُ يتابِع مسلسلًا، يتابِع مباراة وقد تستغرقُ ساعةً أو ساعتَين، وهذا يجلسُ عند المصحَفِ فيُرتّل ويقرأ، هل تعلم ماذا قال النبيُّ - ﷺ؟

يقول - ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ: الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَامٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ**»(١).

---

(١) رواه الترمذي في سننه (ح ٢٩١٠).

أنتَ تجلِس فيَضِيع وقتُك، وهذا يقرأُ سورةً، يقرأ سورتين، يقرأ ثلاثَ سور، يقرأ حِزبًا، يقرأ حزبَيْن، انظر كم قد جمَعَ من الخيرِ، من الحسناتِ، انظر كم نالَ من الأجورِ الطيّبات.

وأنتَ! انظُر كم أضعتَ من السّاعاتِ في عُمُرِك. ماذا حصّلتَ؟ سوىٰ النظرِ الحرامِ من شاشات التّلفاز. ماذا حصّلتَ؟ سوىٰ اللغوِ والكلامِ الذي لا فائدةَ منه ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ﴾(١). ماذا حصّلتَ؟

سوىٰ السّباب والشتم. ماذا جمعتَ؟ سوىٰ ضياع الأوقات والمُهَاترات، يامسلم: كلُّ دقيقةٍ ستَتَقطّع حولها ندمًا بين يدي الله - جَلَّجَلَالُهُ -، لمّا أن تُسألَ عنها بين يدي الله - جَلَّجَلَالُهُ -

ماذا عَمِلتَ؟ ماذا قُلتَ؟ ماذا فعلتَ؟ لِم فعلت؟

---

(١) سورة المؤمنون: ٣ .

لِم قلتَ؟.

قال الله - جَلَّجَلَالُهُ: ﴿ وَقِفُوهُمْۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴾[١]، فستُسأل لا تظن أنّ الأمرَ هكذا، قال الله - جَلَّجَلَالُهُ: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾[٢].

كان سفيانُ الثّوري - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - إذا استوقفه أحد، يقول له: «إِنَّ النَّهَارَ يَعمَلُ عَمَلَهُ»[٣]، لا تُوقِفني عن العلم، لا توقفني عن التسبيح، عن التكبير، عن التهليل، عن الأمر بالمعروف عن النهي عن المنكر، عن تصنيف العلم، إنّ النهارَ يعملُ عملَه؛ فإذا ذهبَ لا يرجع.

ولذلك يا مسلم: لا تظن أن هذه الساعات التي تُضيِّعُها يمكن أن تتداركها، ذهَبَ الوقتُ وبقِيَت الحسرات.

يقول الشاعر:

---

(١) سورة الصافات: ٢٤.

(٢) سورة المؤمنون: ١١٥.

(٣) سير أعلام النبلاء (ج٧ ص٢٤٣).

فيَــا لَيــتَ الشّــبابَ يَعُــودُ يَوْمــًا

فــأُخبرَهُ بمَــا فَعَــلَ المَشــيبُ[١]

لا تجِدُ رجلًا قد شابَ رأسُه، لا تجد رجلًا قد قضَىٰ عُمُرَه إلا وهو علىٰ تحَسُّرٍ علىٰ ما قد ضاع من العُمُرِ، ذهَبَتْ الأزمانُ وبقِيَت الحسراتُ تُقطّع القلب، انظُر - مثلا - إلىٰ معرُوفٍ الكرخِيّ: كان عابدًا، كان زاهدًا، كان عند الحلّاق ليحلِقَ له شارِبَه - لا لِحيَتَه؛ فحَلق اللحيةِ يُعتبر مُحرّمًا، النبيُّ - ﷺ - أمر بإعفائها: (**أَوْفُوا اللّحىٰ**)[٢] ، (**وفِّروا اللّحىٰ**)[٣] ، أمّا أن تحلق لحيتَك فأنت علىٰ معصيةٍ وخطرٍ عظيم - فلم يستطِع الحلّاقُ أن يحلق شاربَهُ لأنه كان يذكُرُ اللهَ، لا يفتُر، لا يتوقّف، يُسبِّح، يُكبّر، يُهلّل؛ فقال له الحلاق: إنني لا أستطيع

(١) انظر: ديوان أبي العتاهية (ص٤٦).

(٢) رواه مسلم (ح٢٥٩). (٣) رواه البخاري (ح٥٨٩٢).

أن أعمل، فقال معروف: «أنت تعمل وأنا أعمل»[١].

انظُر! إن هؤلاءِ لم يُضيّعوا ثانية أو دقيقةً. يدخُلُ مجدُ الدّين بنُ تيمية - جدُّ شيخِ الإسلامِ - يدخلُ إلىٰ بيتِ الخلاء، ويأمر ولدَه أن يقرأ عليه من كُتبِ العلم، وهو في الخلاء؛ كي لا يضيع الوقت[٢].

أبو الفَرَج الجَوْزِي - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - كان يزورُه بعضُ النّاس من أهل البطالة، ولأجل ألّا يضِيعَ الوقتُ يُعطيهم وقتًا قد خصصه لبَرِي الأقلام، والنظر في الكاغد وما يكتب عليه من ورق، وهو يعلم أن هذا العمل لا يحتاج فكرًا؛ ولأنه لابُدّ له أن يعملَ في هذا، فجَعَلَ هذا في أوقاتِ زيارتهم؛ كي لا يضيعَ الوقت[٣]؛ لأجل أنْ تعلمَ أنّنا نُضيّع عمرًا كاملًا.

---

(١) سير أعلام النبلاء (ج٩ ص٣٤١) حلية الأولياء (ج٨ ص٣٦٢).

(٢) روضة المُحبّين ونزهة المشتاقين (ص ١٠٩).

(٣) صيد الخاطر (ص ٣٨٥).

عشَراتُ السنين، لو رَجَعْتَ! كَم قد استَثْمرتَها؟ ماذا عَمِلت فيها؟ هل حَفِظتَ القُرآنَ؟ هل أدرَكْتَ السُّنةَ؟ هل أَقَمتَ الطّاعةَ والعِبَادةَ والنّفلَ؟ هل اعتَمَرتَ؟ هل حجَجتَ؟

إنّما الجلوسُ علىٰ الطُّرقاتِ وعلىٰ الأزِقّة، ومُتَابعَةُ المُسلسَلاتِ ودوْريّاتِ الكُرَة، والضّياعُ في البادِيَةِ والصّيْد، إنه الضَّياعُ الذي لَم يُشْعِركَ بقيمَةِ الحَياةِ.

سيَكونُ الأمرُ عجبًا إذا دُحرِجَت الأرضُ، واهتَزّت الأرضُ، ودُكَّت الأرضُ، واختَلَفتِ الأحوَالُ، واهتَزّت الجِبالُ، وكُوِّرت الشّمسُ، سيَكونُ الأمرُ مُذهِلًا؛ عِندها تعلَم ما كُنتَ إلا لاهِيًا لاعِبًا !.

لذلك يا مسلم: ينبغي أن تعقد العزم علىٰ أنْ تغتنمَ الوقت؛ كفىٰ ضياعًا، كفىٰ حيْرَةً.

قال اللهُ - تعالىٰ: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾(١)، وقال - سبحانه: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى

(١) سورة الأنبياء: ١.

غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا ﴾[١]، إنّها الغفلَةُ، قال الله - جَلَّجَلَالُهُ: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ﴾[٢].

فيا مُسلم: الوقتُ هو الحياةُ، لا تسمَح لأَحَدٍ كائنًا مَن كان أنْ يتخَطّفَ عُمُرَك، أنْ يتخطّفَ وقتَك، أنْ يتخطّفَ فراغَكَ، ولذلك ينبَغِي أن تصحَبَ صديقًا يُعِينُكَ علىٰ الخير، تتَنافَس أنت وهُوَ علىٰ حفظِ كتاب اللهِ - جَلَّجَلَالُهُ -، تتنافس أنتَ وهُو علىٰ الصُّفوفِ الأُوَل، تتنافس أنت وهُو علىٰ المبادَرَةِ إلىٰ المَسجِد، والتّبكيرِ لصلاةِ الجمَاعةِ، تتَنافَس أنت وهُو علىٰ طلبِ العلمِ النّافع، علىٰ الأمرِ بالمعروفِ والنّهيِ عنِ المُنكَر، علىٰ الدعوة في سبيل الله، أمّا أن تبقىٰ هكذا؛ فإنّك ستندم.

﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾﴾ جِنسُ الإنسانِ في خسَارةٍ، في ضيَاعٍ، في هلكَةٍ، ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ استثنىٰ

---

(١) سورة ق: ٢٢.

(٢) سورة الجمعة: ٨.

ربُّنا من الخُسرانِ أهلَ الإيمان.

والإيمانُ في اللغة: التصديق مع الإقرار(١).

أما في الإصطلاح - في الشّرع - فإنّ الإيمانَ - معاشرَ الأحبّة - هو: اعتِقَادٌ بالجَنَان، وقولٌ باللسَان، وعمَلٌ بالجَوارِح(٢).

«اعتقادٌ بالجنان» والعقيدةُ الصحيحة: هي حكْمُ الذّهنِ الجازِمِ المُطابِق للوَاقِع(٣). فينبغي أنْ يكونَ المؤمنُ علىٰ عقيدةٍ صادقةٍ قويّةٍ تُوقِرُ في القلب.

أن تكونَ مُصدّقا بما قاله اللهُ - جَلَّجَلَالُهُ - وبما قاله رسولُه - ﷺ -

بما شرّعَهُ اللهُ - جَلَّجَلَالُهُ -، بأوامِرِهِ، بنواهِيه، بأخبارِه، بما كان مُشاهَدَةً، بما كان غَيْبًا، أنْ تؤمِنَ بما بعدَ المَوتِ،

---

(١) انظر: مجموع الفتاوىٰ (ج٧ ص٢٩٣).

(٢) انظر: إعتقاد أهل السنة والجماعة - للالكائي (ج٤ ص٦٧٥).

(٣) انظر: لوامع الأنوار البهيّة - للسّفاريني (ج١ ص٦٠).

أن تؤمِنَ وتُصدّقَ بكلّ ما جاء به محمد - ﷺ - مُمْتثِلًا، مُنقادًا، مُسلّمًا، قال اللهُ - جَلَّجَلَالُهُ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾(١)، وقال - سبحانه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ۚ﴾(٢)، إيّاك أنْ تؤمنَ ببعضٍ وتترُكَ بعضًا، إيّاك أن تَتَردَّد في قَبُولِ خبرِ رسولِ الله - ﷺ -، قال اللهُ - تعالىٰ: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍۚ﴾(٣)، وقال اللهُ - جَلَّجَلَالُهُ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾(٤)، أي: خذوا الإسلامَ مِنْ جميعِ جوانِبِه(٥).

---

(١) سورة النساء: ٦٥ .

(٢) سورة الحشر: ٧.

(٣) سورة البقرة: ٨٥ .

(٤) سورة البقرة: ٢٠٨.

(٥) مجموعة رسائل علمية - للوادعي (ص٣٩).

أنتَ ترىٰ العجبَ العُجاب اليوم مِن أُناسٍ يأخذُ مِنَ الإسلامِ ما يُريد ويطرَحُ ما لا يشتَهي، يُحَكّم هواهُ، يُحَكّم شهواتِهِ، إذا قلتَ له: إنّ الرّبا حرامٌ - وهو يُكدّسُ الأموالَ مِنَ الرّبا - صارَ يُصارِعكَ، صارَ يُجادِلُكَ، صارَ يُنازِعكُ، والله - جَلَّجَلَالُهُ - يَقولُ في المُرَابِينَ: ﴿فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ﴾[1]، ويقول الله - تعالىٰ: ﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ﴾[2]، ويقول النبيُّ - ﷺ: «**لعَنَ اللهُ آكلَ الرِّبا، ومُوكِلَهُ، وشاهِدَيْهِ، وكاتِبَهُ، هم فيه سواءٌ**»[3].

إذا قُلتَ له: إنّ مُشاهدةَ التّلفاز والتّمثِيلَيّات والمُسَلسلات لا يجُوز لكَ، صارَ يُصارعكَ: «هذا تطوّرٌ ينبغي أن تُسايِرَ العصرَ، ينبَغي أن تَعيشَ مع النّاس، الكُلُّ عنده تلفازٌ، والكلُّ يتفرّج، والكلُّ يتَمَتّع».

---

(١) سورة البقرة: ٢٧٩.

(٢) سورة البقرة: ٢٧٦.

(٣) صحيح الجامع (ح ٥٠٩٠).

إنّهم يجادِلون؛ والمُؤمِنُ لا يُجادِلُ في الحقّ، ولا يُصارِع الهُدىٰ، ولا يُنازِع ما أنزلَه الله؛ قال ربُّنا - جَلَّجَلَالُهُ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾(١).

معاشرَ الأحبّة: يقولُ الله - جَلَّجَلَالُهُ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾(٢). تعتَرِضُ شريعةَ الله - جَلَّجَلَالُهُ -، تعتَرِضُ حديثَ رسولِ اللهِ - ﷺ -، تعترِضُ ما كان عليه الصَّحبُ الكِرَامُ، كلُّ هذا من أجلِ أن تُبَرِّرَ لشهوَتِكَ، تُبرّر لرغبَاتِكَ، تُبرّر لحزبِكَ، لجماعَتِكَ.

لذلك يا مسلم: تصديقُ القلب، أن يكون قلبك مُوقِنا، أن يكون قلبُك مُصدّقا، مُذعِنا، مُسَلِّما لِما جاء به

---

(١) سورة الأحزاب: ٣٦.

(٢) سورة النور: ٥١.

رسولُ اللهِ - ﷺ -، إنّكَ لا تخرُجُ عن شريعَةِ الله - جَلَّجَلَالُهُ - تُعظِّمُها وتتَحاكَمُ إليها، يقولُ الله - جَلَّجَلَالُهُ -: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾[١].

و «قولُ اللسان» أنْ تؤمِنَ بلسانِك فتقول: أشهَدُ أنْ لا إلهَ إلا الله وأنّ محمدًا رسولُ الله، تُسبّحُ بلسانِكَ، تذكُرُ بلسَانكَ، تأمُرُ بمعروفٍ بلسانكَ، وتَأْتي بالدُّعاءِ بلسانِكَ، وتنهىٰ عن المُنكرِ بلسانِكَ، وتدعو إلىٰ الخيرِ بلسانكَ، يقول النبيُّ - ﷺ: «**لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ الله**»[٢].

إنّ اللسانَ - معاشرَ الأحبّة - هو الذي جعلَه ربُّنا - جَلَّجَلَالُهُ - ينطِقُ العبدُ به، ينطِقُ بتوحِيدِ الله، وينطِقُ بالهُدَىٰ، وينطِقُ بالأذكَارِ، وينطِقُ بالأدعِيَة، ويأمُرُ بمعروفٍ

---

(١) سورة النساء: ٥٩.

(٢) رواه الترمذي في سننه (ح ٣٣٧٥).

وينهَىٰ عنِ المُنكَر، ويقرأُ كتابَ اللهِ - جَلَّجَلَالُهُ -، ويُسبِّحُ ويذكُر ربَّه.

و«عَمَلٌ بالجَوَارِح»: تَعمَلُ بجوارِحِكَ، تركَعُ وتسجُدُ وتَقومُ بالفرائِضِ وما أوجبَ الله.

أمّا أن يُدَّعىٰ أنَّ الإيمانَ: مجرّدُ التّصدِيق!، باطِلٌ(١).

مجرّدُ المعرِفَة!، باطِلٌ(٢). أنّ الإيمانَ: مجرّدُ قولِ اللسانِ!، باطِلٌ(٣).

إنّ الإيمانَ ينبغِي أنْ يجتمِعَ فيهِ ثلاثٌ: اعتقادُ الجَنانِ - القلب -، وقولُ اللسانِ، وعمَلُ الجوارِحِ.

يجبُ أن تعمَلَ، أمّا أنْ تقولَ إنّني مؤمنٌ، لا تركع، لا تسجد، لا تعتمر، لا تحج، لا تأمر بمعروف، لا تنهىٰ

(١) وهو قول الماتريدية. .

(٢) وهو قول الجهمية. .

(٣) وهو قول الكرّاميّة.

وانظر: شرح الطحّاوية - لابن أبي العز (ص٤٤٣).

عن منكَرٍ، لا تقرأُ قُرآنًا ولا تدعو ربّكَ، أيُّ إيمانٍ هذا الذي لا يعملُ العبدُ فيه؟!.

بل الواجبُ علىٰ المؤمنِ أنْ يعملَ، ولذلك الآيَةُ لم تكتَفِ بذِكْرِ الإيمانِ، بل قال ربُّنا - جَلَّجَلَالُهُ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾

إذًا العمَلُ مِن الإيمانِ، وإيّاكَ أنْ تؤخِّرَ العملَ، أو ألّا تعتَرِفَ بالعملِ وتدّعي أنكَ مؤمنٌ، كحالِ كثيرٍ مِن النّاس يقولُ أنا مؤمِنٌ وهو لا يُصلّي، لا يَصوم، لا يحج، لا يزكّي، أيُّ إيمانٍ هذا؟! يقول أنا مؤمِنٌ، وهو يفتَحُ بابَ المعاصِي ويرتكِبُ الموبِقات ويجتَرِئُ علىٰ حُدودِ اللهِ - جَلَّجَلَالُهُ -

ويقول مُغترًّا: إنّني مؤمِنٌ.

لذلك يا مُسلم: الإيمانُ ليس بالدّعاوىٰ ولكن ما وقَرَ في القلبِ وصدّقَه العمَلُ، قال اللهُ - جَلَّجَلَالُهُ: ﴿لَّيْسَ

بِأَمَانِيِّكُمۡ﴾[١]. لذلك معاشرَ الأحبّة: ينبغي أن نتعلّمَ الإيمانَ، أركانَ الإيمانِ، شروطَ الإيمانِ، ما ينبغي أنْ يكونَ عليه أهلُ الإيمانِ، ولذلك النبيّ - ﷺ - عند أن سُئِل عن الإيمانِ في حديثِ جبريلَ - عليه السلام - قال: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»[٢]. هذه أركانُ الإيمانِ من لم يأتِ بها؛ فليس بمؤمِنٍ.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ إذًا لا بُدّ من العملِ، لا بُدّ من عمَلِ الصّالحات، لا بُدّ أنْ تُجاهِد نفسَك في إقامَةِ التّوحيدِ الذي هو أعظَمُ عمَلٍ، أعظَمُ أمرٍ أمَرَ اللهُ بهِ هو التّوحيد، وأعظَم نَهْيٍ نَهَىٰ اللهُ عنهُ هو الشّرك، قال الله - جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ

---

(١) سورة النساء: ١٢٣.

(٢) رواه مسلم (ح ٨).

بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾[١]، وقال - سبحانه: ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾[٢].

فيا مسلم: أعظمُ عملٍ ترعاه وتقومُ بهِ أنْ تُحقِّقَ التوحيدَ؛

فهو شرطُ قَبولِ العمَلِ، إنّ اللهَ لا يقبلُ العملَ مِن مُشركٍ ممّن يعبدُ صنمًا، ممّن يعبُد حجَرًا، ممّن يعبدُ قبرًا، ممّن يدعو وليًّا، ممّن يَطوفُ علىٰ قبرٍ، مِمّن يستغيث بميّتٍ، ممّن يُعلّق تمِيمةً أو حِرزًا.

إنّ الله لا يقبَلُ ممّن يعتَقِدُ السِّحرَ ويأتي الكُهّانَ والعرّافين، إنّ اللهَ لا يقبَلُ ممّن يعتقِدُ في النُّجومِ والكواكِب، إنّ اللهَ لا يقبَلُ ممّن لا يؤمِنُ بالغيبِ.

لذلك يا مسلم: ليسَ الأمرُ دعاوَىٰ، هو دينٌ؛ ولذلك

---

(١) سورة النساء: ٣٦.

(٢) سورة الجن: ١٨.

يجب أنْ تعمَلَ علىٰ التّوحيدِ تحقيقًا في قلبك، تعظيمًا بجوارِحِكَ.

لذلك قال الله – جَلَّجَلَالُهُ: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾(١)، لا تعبُد إلا ربّك، لا تذِلّ، لا تخضَع، لا ترجو، لا تسأَل، لا ترغَب لا ترهَب إلا لله رب العالمين، قال الله – جَلَّجَلَالُهُ – مُبيِّنًا عِظمَ التّوحيدِ: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾(٢)، تعلّم كيفَ تُوَحّد اللهَ، تعلّم كيفَ تَعبُد اللهَ، قال الله – تعالىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾(٣)، أي: ليُوَحِّدون(٤). أمّا ما تراه اليومَ مِن غفلةٍ عظيمةٍ في باب توحيد الله، انظر إذا حلَفَ: حلفَ بغيْرِ الله، إذا دعَا ربّما قال: يا سيدي عبد السلام، يا سيدي أبو عجيلة، يا

---

(١) سورة الإسراء: ٢٣ .

(٢) سورة محمد: ١٩ .

(٣) سورة الذاريات: ٥٦ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن (ج١٩ ص٥٠٦).

سيدي الشّارف، وكذلك أيضا تراهُ يأخُذُ بعيرًا أو شاةً أو معزًا؛ فيذهبُ عند قبر ويذبَحُ هُنالِك.

يا مسلم: ألم تقرأ قولَ اللهِ - جَلَّجَلَالُهُ: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ٣﴾[(١)]، فكما أنّكَ تُصلّي لربّك فلتَنْحر لربّك؛ قالَ اللهُ - جَلَّجَلَالُهُ: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣﴾[(٢)]، ما هو النُّسُك؟ هو الذّبحُ[(٣)]؛ لذلك يقول النبيُّ - ﷺ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ»[(٤)].

يذبَحون لشيوخِهِم، يذبَحون لرؤساء الطّريقة الجعفَريّة، الخَلِيليّة، العيسَاويّة، وهكذا - أيضا - الشّاذِليّة،

---

(١) سورة الكوثر. .

(٢) سورة الأنعام ١٦٢ - ١٦٣ .

(٣) تفسير ابن كثير (ج٣ ص٣٨٢) .

(٤) رواه مسلم (ح ١٩٧٨).

إذا ما ماتَ قال: «أدخِلوا قبري إلىٰ المسجد» سُبحانَ الله، أدخلوا قبري إلىٰ المسجد!، لا يُريد أن يُقبَرَ في مقابرِ المُسلِمين؛

إنّما يُريد أن يُقبَرَ داخلَ بيوتِ اللهِ - جَلَّجَلَالُهُ - ؛ كي يُعبد مِن دون الله، كَيْ يُدعىٰ مِن دون اللهِ، كي يُطافَ بقَبره، كي يُسأَل الحاجات، كي يُستغَاث بهِ، كي يُؤتىٰ بالنُّذُورِ، كي تُوضَع الأموالُ عند سَدَنَةِ القبورِ، اسمعْ ما يقولُ النبيُّ - صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ - حَوْلَ عُبّادِ القبُورِ: «**لَعْنَةُ اللهِ عَلَىٰ الْيَهُودِ، وَالنَّصَارَىٰ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**»(١)، النبيُّ - صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ - لمّا أنْ ذكرَت بعضُ أزواجِه صُورًا رأَتها في كنيسَةٍ بأرضِ الحبَشَة فذَكَرتْ مِن حُسنِ تصاويرِها؛ فقال النبيُّ - صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**أُولَئِكِ قَوْمٌ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الْعَبْدُ الصَّالِحُ أَوِ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، بَنَوْا عَلَىٰ قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكِ الصُّوَرَ،**

---

(١) رواه البخاري (ح ٤٣٦)، ومسلم (ح ٥٢٩).

أُولَئِكِ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ»(١).

النبيُّ - ﷺ - يقول: «اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ»(٢)، إنّها الأوْثانُ التي تُعبَدُ اليوم: القِبابُ، الأضرِحَةُ، القبورُ يُستَغَاثُ بها عندَ كلِّ كربٍ، ويُلجَأُ إليها عندَ كلِّ أمرٍ.

والله - جَلَّ جَلَالُهُ - يقول: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾(٣)، والله - جَلَّ جَلَالُهُ - يقول: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾(٤)

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾(٥)،

---

(١) رواه البخاري (ح ٤٣٤)، ومسلم (ح ٥٢٨).

(٢) رواه مالك في الموطأ (ح ٤٧٥).

(٣) سورة النمل: ٦٢ .

(٤) سورة البقرة: ١٨٦.

(٥) سورة غافر: ٦٠ .

ويقول النبيُّ - ﷺ:

«أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ»(١).

توحيدُ اللهِ يعيشُ عندَ الكثيرينَ غُربةً، يعيشُ بُعدًا، لو صلّيتَ عُمُرَكَ، لو أنّك صُمتَ الشّهورَ الطّوَال، لو حجَجْتَ مرّاتٍ، لو اعتَمَرتَ سنَواتٍ، ما لم تُقِم توحيدَ اللهِ وتُخلِص الدّينَ لله - ربّ العالمينَ - فإنّ الله - جَلَّجَلَالُهُ - يقول: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾(٢)، ويقول الله - جَلَّجَلَالُهُ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾(٣).

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ﴾

---

(١) رواه مسلم (ح ٤٨٢).

(٢) سورة الفرقان: ٢٣ .

(٣) سورة الزمر: ٦٥ - ٦٦.

الوصيّةُ بالحقّ: أنْ يُوصِي بعضُنا بعضًا بالحقِّ، أنْ يأمُرَ بعضُنَا بعضًا بالمعرُوفِ وينهىٰ عن المُنكَرِ، ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾(١)، قال الله - تعالىٰ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾(٢)، يقول النبيُّ - ﷺ: «مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»(٣)، ويقول - ﷺ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ». قُلْنَا: لِمَنْ ؟ قَالَ: «لِلهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»(٤).

الدّينُ - معاشرَ الأحبّة - أنْ تبذُلَ الخيرَ لإخوانِكَ، أنْ تحرِصَ علىٰ هدايَتِهِم، يقولُ النبيُّ - ﷺ: «فَوَاللهِ

(١) سورة آل عمران: ١١٠ .

(٢) سورة آل عمران: ١٠٤ .

(٣) رواه مسلم (ح ٤٩) .

(٤) رواه مسلم (ح ٥٥).

لَأَنْ يُهْدَىٰ بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ»[(١)].

انظُر اليومَ في أسواقِنا، في طُرُقاتِنا، مَن الذي يقولُ: اتّقِ اللهَ؟ هل سمِعتُم؟ هل رَأيتُم؟ مَن الذي يعِظُ الناسَ ويُذكّر الناسَ؟ مَن الذي يقول لهم: اتّقوا الله، اتّقُوا الله!، إنّنَا في غَفلةٍ، إنّنَا نُحَابي بعضُنا بعضًا، ويُجَامِلُ بعضُنا بعضًا، ويَخافُ بعضُنا مِن بعضٍ.

هذا الدّينُ دينٌ قامَ علىٰ الأمرِ بالمَعروفِ والنّهيِ عنِ المُنكَر، وقامَ علىٰ الجِهادِ في سبيلِ الله، وعلىٰ نُصرَةِ الحقّ وأهلِهِ، قال الله - تعالىٰ: ﴿وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾[(٢)]، ويقول الله - جَلَّجَلَالُهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾[(٣)].

فهل نصَرتَ اللهَ؟ هل نصَرتَ شريعتَه؟ هل نصَرتَ

---

(١) رواه البخاري (ح ٢٩٤٢)، ومسلم (ح ٢٤٠٦).

(٢) سورة الحشر: ٨.

(٣) سورة محمد: ٧.

الدّين؟ هل نصَرتَ السُّنة؟ هل نصَرتَ الأَمرَ بالمعروفِ؟

هل نصَرتَ النّهيَ عن المُنكَر؟ هل تمعّرَ وجهُك أمامَ المُنكَر؟. أم أنّك مِمّن أعرضَ عن الأمرِ بالمَعروفِ والدّعوَةِ إلىٰ الله ؟!. إذًا ينبغِي أن نتواصَىٰ، ينبغِي أن نتنَاصَح، ينبغي أنّنا يُذكّرُ بعضُنا بعضًا.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾، لا بُدّ إذا دعَوتَ إلىٰ الله، لا بُدّ إذا أمَرتَ بمعروفٍ ونهيْتَ عن مُنكَرٍ، لا بُدّ أنْ تجِدَ معارَضةً، ولا بُدّ أنْ تجِد خصومًا، ولا بُدّ أنْ يُصارِعَك بعضُهم؛ تصبِر، تثْبُت، قد يُصارِعكَ أبوك، وقد تصارِعُك أمُّك، وقد يقُوم عليكَ أهلُك وقبيلَتُك، هل تترك الحقَّ؟

لا، تثبُت. هل تترُك الهدىٰ؟ لا، تثبُت.

انظُر إلىٰ نبيّك - ﷺ - قام عليهِ أقربُ الناسِ، ألَمْ يَقُمْ عليه أبو لهبٍ؟ بلىٰ. ماذا يكونُ بالنسبةِ له؟ عمّه. ألم يَقُم عليه رؤساءُ قبيلتِه كأبي جهل؟ بلىٰ. ألم يُخرَج

من مكّة؟ بلىٰ. ألم يُقل كاذِبٌ وساحرٌ ومجنونٌ وكاهنٌ؟ ألم يُحاصَر في شِعَبِ مكّة؟ ألم يُطارَد لأجل قتلِه؟ ألم يُؤذَ غايةَ الإيذاءِ؟ ألم يُوضع سلىٰ الجزورِ علىٰ ظهره؟ ألم تُكسَر رباعيّتُه؟ ألم يُخدَش وجهُهُ؟ ألم يُحارَب؟. لكنّه صبرَ - ﷺ -، قال الله - جلّ جلالُهُ: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾[1]، ويقول الله - سبحانه: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾[2]، يقول عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه: «**كَأَنِّي أَنْظُرُ إلىٰ النبيِّ ﷺ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِياءِ، ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فأَدْمَوْهُ، فَهو يَمْسَحُ الدَّمَ عن وجْهِهِ، ويقولُ: رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فإنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ**»[3].

والنبيُّ - ﷺ - في الطّائف لما جاءَهُ ملَكُ الجِبالِ فقال: «إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ». فَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ:

---

(١) سورة الاحقاف: ٣٥.

(٢) سورة النحل: ١٢٧.

(٣) رواه البخاري (ح ٦٩٢٩)، ومسلم (ح ١٧٩٢).

«**بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**»(١)، لا بُدّ أنْ تصبرَ على طاعةِ الله، وعلى الدّعوةِ في سبيلِ الله، تصبِر على إقامةِ التّوحيدِ ولا تتَزلزَل، تصبر على إقامَةِ الصّلاةِ وتَثبُت.

قال اللهُ - جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ۝٣٦ رِجَالٌ﴾ مَن هُم هؤلاءِ الرّجال؟ ﴿رِجَالٌ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾(٢).

تصبِر على صِيامك، وتصبِر على طاعَتِك، تصبِر على بَذْلِ الزّكاة والنّفَقَةِ والصّدقةِ، تصبِر على تربيَةِ أهلِكَ وولدِك، يقول النبيُّ - ﷺ: «**كلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسؤولٌ**

---

(١) رواه البخاري (ح ٣٢٣١)، ومسلم (ح ١٧٩٥).

(٢) سورة النور: ٣٦ .

عن رعيَّتِه»(١).

تصبِر عنِ المعاصِي، تُجاهد نفسَك في بُغضِها وكراهيّتِها والبُعدِ عنها، ربُّك يُعِينُكَ، يُسدِّدُك، ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾(٢).

لذلك يا مسلم: ينبَغِي أنْ تعلَم أنّك بحاجةٍ إلىٰ الصّبرِ علىٰ طاعةِ الله، عن معصِيةِ الله، وتصبر علىٰ أقدارِ الله المُؤلِمةِ، إذا جاءَتك مصِيبةٌ، إذا وقَع عليك ضرٌّ، إذا جاءَكَ شيءٌ تكرَهُه، تصبِر، لا تجزَع ولا تضجَر ولا تشكو ربّكَ الخلقَ، كما يفعله كثيرٌ مِن النّاس اليوم، إذا حلّ به بلاءٌ شكا إلىٰ عبدٍ فقيرٍ، إلىٰ عبدٍ ذَليلٍ، وذهبَ يشكُو هُنَا وهناك، لا، إنّ النبيَّ - ﷺ - في أركانِ الإيمانِ يقول: «**وَتُؤْمِن بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»(٣).

---

(١) رواه البخاري (ح ٥٢٠٠)، ومسلم (ح ١٨٢٩).

(٢) سورة العنكبوت: ٦٩ .

(٣) سبق تخريجه ص٢٥.

ويقول النبيُّ - ﷺ: «**وَتَعْلَم أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ**»(١)، ويقول الله - جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾(٢)، ويقول النبيُّ - ﷺ: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**»(٣)، اللهُ يبتَلِي عبادَه ويختَبرُ أولياءَه، قال الله - تعالىٰ: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾(٤)، ويقول - جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾(٥)،

---

(١) رواه أبو داود في سننه (ح ٤٦٩٩).

(٢) سورة الاحزاب: ٣٨.

(٣) رواه مسلم (ح ٢٩٩٩).

(٤) سورة هود: ٧.

(٥) سورة العنكبوت: ١-٣.

ونبيُّك - ﷺ - يقول: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ**»[١]، يُصِب منهُ، فالمصائبُ علامةُ خيرٍ، والابتلاءاتُ علامةُ خيرٍ، لكن يجب أنْ تعلمَ أنّ المصيبةَ هي من نفسِك، أنت السّبب قال الله - جَلَّجَلَالُهُ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٠﴾﴾[٢]، بَادِر بالتّوبةِ، وبادِر بالاستِغفَارِ، وبادِر بالحسَنَاتِ، ويقول الله - جَلَّجَلَالُهُ: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾[٣].

اللهُمَّ إنَّا نسأَلُكَ الهُدَىٰ والتُّقَىٰ والعَفَافَ والغِنَىٰ وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحبِهِ وَجَزَاكُم اللهُ خَيرًا.



---

(١) رواه البخاري (ح ٥٦٤٥).

(٢) سورة الشورىٰ: ٣٠.

(٣) سورة هود: ١١٤.


دار سبيل المؤمنين
للطبع والنشر والتوزيع
81 شارع الهدي المحمدي متفرع من شارع أحمد عرابي - مساكن عين شمس
القاهرة - جمهورية مصر العربية
الجوال : (002)01007610099 - (002)01140110099
البريد الإلكتروني : dar_sabilelmomnen@yahoo.com
dar_sabilelmomnen@hotmail.com
للتواصل عبر الفايسبوك :
https://www facebook com/dar sabilelmomnen
حسابنا على تويتر : https://twitter.com/sabilelmomnen